حياة الرفيقة جيهان شيخموس أولين

أحب الشتاء رغم برده وثلوجه، كما أعشق الأزهار والورد في الربيع

الهجرة والترحال جزء لا يتجزأ من حياة الشعب الكردستاني المجزأ والمطبّق عليه كافّة أنواع الجور والبطش والتجويع، ناهيك عن سياسة الإنكار والإبادة. الإنسان الكردي جبّار وعظيم، يستطيع التأقلم مع أصعب ظروف الحياة. وهذا يرجع إلى ثقافته التاريخية التي تعود إلى أكثر من عشرة آلاف عام قبل الميلاد.

في الخمسينات من القرن العشرين تركت عائلة كردية قرية شيخ فاطمي القريبة من مركز محافظة الحسكة، واستقرت في مدينة عامودا التاريخية، ومن ثم انتقلت إلى مدينة القامشلي بعد أن ضاق بها العيش وجُرِّدت من الجنسية السورية.

في أحضان هذه العائلة أينعت زهرة جميلة رسمت الابتسامة على شفاه والديها، فسموها جيهان، أي الدنيا، مستبشرين بها بحياةٍ أفضل وأجمل في هذه الدنيا المعذِّبة.

ولدت الرفيقة جيهان في الأول من تشرين الأول عام 1977 في مدينة القامشلي. وبعد عدة أعوام انتقلت العائلة إلى منطقة ديريك بحثاً عن العمل عام 1983، حيث عمل والدها في عدة مهن (مثلجاتي، خباز، حداد). واستقرت العائلة في ديريك.

في تلك السنوات كانت حركة التحرر الكردستانية بقيادة حزب العمال الكردستاني في بدايات انطلاقتها. فتعرفت العائلة عليها، وتحمست لأفكارها الداعية إلى الخلاص من الظلم والاستعباد.

دخلت الرفيقة جيهان المدرسة، ودرست حتى الصف السابع في مدارس ديريك، وكانت ترافق رفيقات النضال منذ صغرها أثناء العمل الجبهوي بين الشعب، فتأثرت بهم كثيراً، وخاصةً الرفاق (محي الدين، صالحة، حاجي صور)، ومن ثم الرفيق الجريح عكيد، الذي فقد عينيه في الحرب التحريرية. كما أنها انضمت إلى الأطفال الصغار في فرقة جودي، وشاركت في الاحتفالات الوطنية منذ صغرها.

اتخذت قرار الانضمام إلى الحزب عام 1994، لكن الرفاق لم يلبوا طلبها، فبقيت تناضل مع الرفاق في العمل الجبهوي، وتذهب إلى التدريبات السياسية، وهي تحسب نفسها رفيقة منظمة. كثيراً ما كانت تنزعج وتتضايق من الرفاق لعدم انضمامها الكامل، فتتأثر كثيراً، وتنطوي على نفسها، حيث تقول: (في عام 1994 كنت قد اتخذت قرار الانضمام. مرضت، وذهب رفاقي ورفيقاتي إلى التدريب، وبقيت في البيت، فغضبت كثيراً من الرفاق).

كانت الرفيقة جيهان شخصيةً هادئةً لطيفةً، وحنونةً تحب الفقراء والبؤساء كثيراً، وتساعد الغير. تحب قراءة القصص وأقوال الأقدمين وأساطيرهم. تطالع كثيراً، وتنمي ثقافتها باستمرار. لم ترض بالحياة العادية كحياة والديها. ورغم تقرب ابن خالتها منها وطلبه الزواج منها، لكنها بعد تفكيرٍ طويلٍ تصل إلى حقيقة العشق بمعناه الكبير كما تقول هي: (لن أتزوج... إنّ حب الوطن والشهداء، وبناء الوطن هو العشق الكبير).

شاركت الرفيقة الشهيدة جيهان في الفعاليات بين الجماهير في ديريك ومنطقة كوجرات. وفي عام 1996 انضمت رسمياً إلى الحزب، وناضلت ضمن الجبهة في القامشلي وتربه سبي حوالي سنة. ثم انتقلت إلى ساحة القيادة لتقلي دورة تدريبية مكثفة خريف 1997.

بعد الانتهاء من التدريب تعبر الحدود مع مجموعة من الرفاق للوصول إلى ساحة الحرب، ولكنهم في الطريق يقعون في كمين الجيش العراقي، وتُصاب الرفيقة بجروح في قدمها، فتعود للعلاج والمداواة. وبعد ثلاثة أشهر تدخل الوطن 1998، وتنضم إلى الثوار في الجبال.

أثناء عبورها نهر دجلة تكتب رسالة لعائلتها، وتضمها إلى مجموعة من الكتابات الشعرية والتقارير والزهور، وترسلها لهم.

قبل وداعها الأخير تطلب من والدتها وصية مفادها أنه إنْ استشهدت فعلى أمها أن تقرأ عن حياتها، وتقرأ قصيدة كتبت عن الرفيقين هاشم وقهرمان، حيث كانت الشهيدة جيهان تحب هذه القصيدة كثيراً. كما تطلب منها عدم البكاء، والصمود كأمهات الفييتناميين.

بقيت الرفيقة جيهان (أولين) في منطقة متينا التابعة لإقليم بهدينان حتى الشهر العاشر من عام 1999 وأثناء قيام بشمركة الحزب الديمقراطي الكردستاني PDK بتطويق مجموعتهم، لم يتسنَّ لهم الوقت للخروج من الحصار، فقامت الرفيقة أولين بتفجير جسدها الطاهر بالقنبلة اليدوية مع رفيقين آخرين، كي لا تقع أسيرة في يد البشمركة، الذين هم مشهورون كثيراً باعتداءاتهم على النساء ومعاملاتهم الدنيئة معهن.

هكذا ودّعت الرفيقة الشهيدة أولين الحياة، وهي مليئة بأمل خلاص شعبها من دنس الاستعمار والرجعية وكل حماة التخلف والعبودية. ولايزال قبرها موجوداً في متينا، يقسم به رفاق ورفيقات دربها على الاستمرار في المسيرة بعدها حتى النصر.

بقي أن نقول أن الرفيقة جيهان كانت تحب فصل الشتاء رغم برده وثلوجه. كما كانت تحب الأزهار والورود كثيراً، وتزين صفحات دفاترها بها.

وقد تركت الرفيقة جيهان مسودة ستة تقارير قدمتها إلى الحزب، تطلب فيها الانضمام، وتشرح وضعها وحالتها فيها، مع تحليل شامل للوضع السياسي والاجتماعي في كردستان. بالإضافة إلى أنها تركت لنا مجموعة من القصائد التي كانت كتبتها باللغتين العربية والكردية.

أثناء محاورتنا والدتها قالت أنها فخورة بابنتها التي ناضلت واستشهدت في سبيل تحرير شعبها ووطنها، وأنها ملتزمة بطريق الشهداء ونهج القائد آبو.

وقد روت لنا الأم حادثة كانت مرت بها الرفيقة جيهان عندما كانت ضمن الفعاليات في منطقة تربه سبي، حيث قالت: (قالت جيهان لي ذات مرة: "في إحدى الليالي الماطرة طرقنا باب أحد البيوت في مدينة تربه سبي، لكن صاحب البيت طردنا، ولم يستقبلنا رغم البرد والمطر. وكان هناك مجموعة من الأشجار قريبة من البيت. اضطررنا أنا ورفيقتي للاحتماء بها من المطر الغزير الهاطل حتى الصباح". حقاً إنه موقف صعب، ومدعاة للأسف أن تسد الأبواب في وجه من يريد لك الحرية والكرامة. لكن هذا هو شعبنا. وما علينا إلا أن نتحمله بسيئاته وإيجابياته).

لقينا بين صفحات دفتر الرفيقة جيهان هذه الكلمات التي تنبض بعشق الحياة والحرية، مرفقة براية عالية مرسومة بين الجبال، ولا نعلم إن كانت تلك الراية لها أم لغيرها:

الحرية

قالوا: ستموت.
راهنوا على السقوط
قلت: سأحيا في كل البيوت رغم كل الرعود
سأرفع كلمة الحرية في الدار
قالوا: سوف تموت
قلت: موتي خلود
والخلود مقاومة
والمقاومة حياة
*** * ***

كذلك نعرض لكم هذه الكلمات الرقيقة للرفيقة جيهان:

ماذا تعلمنا من الحرمان؟
قيمة الوطن...
من الجوع والألم؟
جروح الآخرين...

ومن الفداء والتضحية؟

قيمة النصر...

من الشهادة؟

معنى الاستقلال والحرية...

من الاستغلال والعبودية؟

قيمة الإنسان...

*** * ***

رغم عدم استكمالها لدراستها، لكن الرفيقة جيهان طالعت الكثير من الكتب، واستمعت إلى العديد من المحاضرات، فتطورت شخصيتها، وبدأت تكتب الأشعار باللغة العربية. ثم إنها أجهدت نفسها كثيراً حتى تعلمت لغتها الأم، وبدأت تكتب بها.

كما أنها أهدت أمها مع بعض حاجياتها دفتراً صغيراً ليبقى ذكرى عندها وهو مزين بعلم ERNK.

نقتطف من ذاك الدفتر بضعة كلمات:

الحياة جميلة، وعليك أن تناضلي كي تصبحي لائقة بالحياة التي طلبتها الرفيقة زيلان.

لا أريد أن يأتيني خبر بأنك بكيت. إنّ البكاء غير لائق بأمّ مثلك. عليك أن تكوني مرتبطةً أكثر بخط الحزب والشهداء، وبخط الرفيقة زيلان وسما، لأنّ هؤلاء العظماء مرتبطون بالحياة لدرجة الهيام، وضحوا لأجل حياةٍ كريمة. كوني مناضلةً مثل الأمّ الروسيّة (بيلاجي)، التي ناضلت وجاهدت كثيراً. الوداع....

الوطن حياة...

والحياة أمل هدف

كتاب- ملف الشهداء العدد الثاني " شيلان" ايار 2006